أفغانستان.. الرمز الباقي..!!

لا يزال المجاهدون الأفغان يمثلون القدوة الحية العائشة معنا للجهاد الحق الذي نحسب أنه أخلص أنواع الجهاد في كل مكان. وبعيدًا عن الحساسيات فالجهاد اليوم ماثل في أماكن مختلفة من بلاد المسلمين، سواء كان هذا الجهاد بالقتال كما هو واضح في مثلنا الحي، وفي فلسطين المحتلة على أيدي أولئكم الذين حملوا القرآن الكريم بأيمانهم وسلاحهم الآخر «الحجارة» بشمائلهم، وهم في عامهم الثالث يسعون إلى تغيير النظرة التي رسخها الإعلام الغربي عن القضية، أم كان الجهاد بالكلمة والقلم في أجزاء أخرى من بلاد المسلمين وخارج بلاد المسلمين، أم كان الجهاد بالدعم المادي والمعنوي من أصقاع مختلفة للمجاهدين المقاتلين في سبيل الله على الجبهات.

والأفغان كانوا ولا يزالون يصرون على الخروج منتصرين من هذه المعركة الشاملة، وترى كلمات التفاؤل ونظراته على شفاههم وقسمات وجوههم بأن تحرير البلاد من الملحدين أضحى وشيكًا. وهنا لا بد من تسجيل موقف لا ينكره المجاهدون، بل يؤكدون على أثره على قرب وصولهم إلى النصر/ أو وصول النصر إليهم ذلكم هو الدعم المعنوي أولاً، ثم الدعم المادي ثانيًا، الذي لقوه من جميع المسلمين في كل مكان من الأرض. فالوقع على المجاهد ليس يسيرًا حينما تصله رسالة من رجل أو فتى أو فتاة تشد من عضده وتذكره بأنه أمام مصيرين لا ثالث لهما: شهادة في سبيل الله، أو نصر للإسلام في كل مكان. والوقع على المجاهد ليس يسيرًا حينما يتسلَّم من رجل أو فتى أو فتاة دراهم معدودة هي كل ما استطاع هذا المتفاعل مع الجهاد والمجاهدين أن يساهم به في نصرة إخوانه في الساحة.

والوقع كـذلكم ـ ومن جانب آخـر ـ ليس يسيرًا حينما يعلم المجـاهدون أن فئـات من الناس قـد تنكروا لهم، وقلبـوا لهم ظهر المجن؛ لأنهم وإن التقـوا معهم في عـوامل عرقيـة أو لغويـة أو قبلية، فإنهم لا يلتقـون معهم سويًـا في عقيدة واحدة تحت راية واحدة. يدرك المجاهدون، وقد أدركوا أن المسألة هنا مسألة جهاد، وليست مسألة مجرد قتال يراد بها تحرير البلاد من عوامل التأثير الأجنبي المباشر أو غير المباشر.

وفي محاولـة للتخلص من التأثير الأجنبي غيـر المباشـر التقت ـ في حـالة حيّـة ـ مجمـوعـة من الأحزاب والتـوجهـات سويًـا للتخلص فقط من التأثيـر الأجنبي، وعنـدمـا تم التخلص انقلبت الأحـزاب على بعضهـا، وأضحى كل حزب بما لديهم فرحون. **لقد عشنا هذه التجربة في بلاد مجاورة تُعاني الآن من الغلطة التي وقعت فيها حينما كانت تسعـى للتأييد الشعبي، ولو كان الحصول عليه على حسـاب المبدأ، فكان هذا التحـالف الوطني الذي صـار على البلاد وبالاً، وزاد من الشقة وضخم فجوات الفرقة.**

ومن هنا، ولأجل ألا تتكرر الغلطة يـؤكد الكثير من المتابعين والمتحمسين والعاملين مع المجاهـدين عن بعد، على صفاء الجهاد والمجـاهدين، وعدم قبولهـم لأي حزب لا ينضـوي تحت راية الإسـلام مهما كـان موقفـه المعارض للحكومـة في كابـول، ومهما كـان ولاؤه للمجاهـدين. ومن أجل هذا يـرفض المجاهـدون والمتابعون والمتحمسون والعـاملون أن تحوَّل قضية المجـاهدين إلى لعبة دولية كل فيها يـدعي وصلاً بليلى. ومن أجل هذا ينبغي على الإعلام الصادق أن يـزيل مثل هـذه الادعاءات، فيؤكـد على الصفاء وحسـن المقصد وسلامة الطويـة بين أولئك الذين استبدلوا الذي هو خير بـالذي هو أدنى، فما بعـدوا عن الشهادة ومـا بعـدت الشهادة عنهم، ولسـان حـال المجاهـد فيهم يتمثل في حالـة ذلكم الصحابي الـذي تمنى على الله أن يقتل في سبيل الله ثم

يعود للدنيا فيقتل في سبيل الله، وهكذا، ولسان حالهم يتمثل في ذلكم الصحابي الذي لم يجد الوقت ليأكل تمرة قبل أن يخوض الغمار فيموت شهيدًا بحول الله وقوته.

ومن هنا ينظر الناس المسلمون إلى المجاهدين في أفغانستان ـ من الأفغان ومن غير الأفغان ـ على أنهم الصورة الحية لعز هذا الدين، وتطمئن قلوبهم على أن هناك فئة على الحق تظل منصورة لا يضرها من خذلها.

ومن أجل هذا كله ينبغي على المسلمين ألا ينشغلوا بأي شيء يصرفهم عن نصرة إخوانهم في أفغانستان مهما حلت بالمسلمين من نكبات الدهر، فتعالج تلكم، ولكن ليس على حساب الجهاد في سبيل الله في أرض الجهاد. ولا ينبغي للمسلمين في أي مكان أن يفتروا عن الدعم المعنوي أولاً ثم المادي لإخوانهم في أرض القتال، فهم هناك يستمدون منهم ـ بعد الله تعالى ـ العون والتأييد. ولا ينبغي للمسلمين في كل مكان أن يبخلوا على إخوانهم في المعركة المستمرة بالدعاء بالنصر من الله تعالى، ينصرهم على عدوه وعدوهم وعدونا جميعًا. فمن عوامل النصر في ساحة الجهاد الدعاء مهما كانت الأسباب المادية متوافرة وينبغي على المسلمين في أي مكان أن يذكِّروا إخوانهم في بلاد الأفغان بالصبر والثبات، فهما أيضًا عاملان معنويان من عوامل النصر، والتذكير دائمًا مطلوب وفيه منفعة للمؤمنين من المجاهدين وغير المجاهدين، فلا يقول قائل إنهم يعيشون الصبر والثبات، وهم إن عاشوه أكثر من غيرهم فإنهم بحاجة إلى من يكرر التذكير به.

وحيث إنني أزعم هنا أن التأثير الخارجي على المجاهدين في أفغانستان عامل مهم، فإن قوة التأثير أو ضعفه تعود إلى مدى الدعم الذي يقدمه المسلمون لإخوانهم هناك. ولو حقَّ لي القول لقلت إن المسؤولية في أفغانستان لا تقع على المجاهدين على الجبهة فحسب، بل ربما تكون أثقل على المؤازرين المناصرين من بعيد، والكل هنا في جهاد، فكان الله في عون الجميع.